

أضواء البيان

@ 433 @ قوله تعالى : { فَقَالَ الْإِمْلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلُ بَنَانٍ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
أَرَادُوا أَنْ يَادِبَ الرَّسُولَ } إلى قوله { وَمَا أَزَا بِطَارِدِ السَّذِينَ
ءَامَنُوا } إِنَّهُمْ مَثَلُ قَوْمِ رَبِّهِمْ وَالْكَذِبِيِّ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ { .

وقد دلت هذه الآية وأمثالها ، على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان ، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : أنهم سادة القوم أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال : هكذا هم أتباع الرسل . .

وقال العلماء في ذلك : لأنهم أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر ، ويجدون في الدين عزاً ورفعة ، وهكذا كان بلال وصهيب وعمار ، وهكذا هو ابن أم مكتوم رضي الله عنهم . { أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَأُتِيَ بِهِ تَصَدَّقَ * وَمَا عَلَيْهِ كُفٌّ يَرْزُقُ * } . بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة ، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى ، شفقة بهم ورحمة ، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله : { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ * حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُفُّهُمْ * } وكقوله : { فَلَا عِلَّ إِلَّا فِيكَ بِأَخْرَجَ * زُفِّسَكَ * عَلَدَاءِ اثَّارِهِمْ * إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهِ تَذَا * } .

وقوله : { وَمَا عَلَّيْكَ إِلَّا - يَزْكِي } ، بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس عليه ممن لا يتزكى ، وقد صرح تعالى بذلك في قوله : { إِنَّمَا آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } وقوله : { لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ } ، ومثل ذلك

وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام { وَ-مَآ أَزَا } بطارد المُمؤمِنين * إِنْ أَزَا إِلَّا زَذِيرٌ مَّبِينٌ { . { كَلَّا - زَهَا تَذَكُّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فَى مُحْضٍ مَّكْرَمَةٍ * مَّرْءُوءَةٌ مَّطَاهَرَةٌ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ { . معلوم أن كلمة : كلا : ردع عمَّا سبق ، وهو في جملته منصب على التصدي لمن استغنى ؟ والإلحاح عليهم والحرص على سماعهم منه ، ولكن ا تعالى يقول : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم فهي على ما هي عليه من

